

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة العدد

### في المسألة العلمية<sup>(1)</sup>

**ثانياً: الواقع المشهود للمسألة العلمية في حاضر الأمة**

**الأستاذ الدكتور الشهيد البوشيخي**

**الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع)**

بالنظر في أحوال الأمة العلمية اليوم، يمكن أن يلحظ ما يلي:  
1- إهمال المسألة العلمية لدى العامة والخاصة؛ فلا العامة من شدة طلبها أجبرت الخاصة على التعليم، ولا الخاصة من شدة حرصها اضطرت العامة إلى التعلم.

ونظرة سريعة إلى المساجد التي لا تكاد تفتح بله أن تشغل، وهي ما هي في القدرة على إحداث الطفرة العلمية لسواد الأمة لو أنها تشغل؛ إذ هي منتشرة بحمد الله عز وجل، أو يجب أن تنتشر، في كل حي ومدشر، وكلفة التعليم والتعلم بها للعالم والمتعلم في غاية اليسر، وخريجها مضمخ لا محالة بربانية بيت الله: خير البقاع.

ونظرة سريعة إلى المدارس التي تثير بحالها التساؤل عن وظيفتها: أهي التعليم أم التجهيل؟ أهي الترغيب في طلب العلم أم التنفير منه؟ أهي تخرج أجيال حاملة للأمانة بعلم، قادرة على الاستجابة للتحديات بعلم، صانعة بانية

---

1 - الكلام في المسألة العلمية متصلسل ابتداء من العدد السابق

للمستقبل المنشود بعلم، أم إنها تفريخ خلوف يجهلون أين يتجهون، ويقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يومرون؟.

ونظرة سريعة إلى وسائل الإعلام، التي كان يمكن أن تسهم أيما إسهام، في تعليم الأمة ورفع مستواها في بضعة أعوام، لو أنها وُجِّهت التوجيه السديد المحكم، ولم تحوّل إلى أكبر أداة للتجهيل والإلهاء والتخدير المنظم.

ونظرة سريعة إلى مؤسسات البحث العلمي التي يكاد يقتلها -على قلمها المنكرة- الفقر، وتكاد ميزانيتها، إذا قورنت بأمثالها لدى أقوام في الغرب والشرق تساوي الصفر، مع قلة الظهير أو انعدامه من ذوي المال والقدرة، وتجاهل الجهد أو إلقاء الحبل على الغارب من ذوي الجاه والسلطة، وكأن الأمر لا يعنهم بحال، أو أنه مجرد ترف فكري يمكن الاستغناء عنه في كل حال.

نظرة سريعة إلى كل ذلك تكفي لمعرفة الدرك الذي تدنى إليه أمر الاهتمام بالعلم في الأمة اليوم، فتدنت بتدنيه، وهانت بهوانه، ومن يهن يسهل الهوان عليه.

2- خدمة مشروع الآخر؛ ذلك بأن الذات السوية لا توجهها إلا الحاجة، والحاجة لا توجهها إلا المصلحة، فبقدر حاجة الذات تأخذ ما تأخذ، وعلى حسب عدم الحاجة تدع ما تدع، وبقدر حاجة الذات يكون قدر الإنفاق، ووجه الإنفاق، ومدى الإنفاق... وإلا فهو خلل في البنية الأساس للذات، واختلال ينذر، إن لم يُتدارك، بقرب نهاية الذات، وذلكم للأسف هو حال الأمة وهي تستثمر أحسن ثروتها: الثروة البشرية، وتصنع أفضل أطرها: الأطر العلمية.

إذ لصالح من تُمنع المساجد من الإنتاج، بإغلاقها في غير أوقات الصلاة؟.

ولصالح من يوجّه التلاميذ والطلبة في المدارس والجامعات، حسب هذا السلم المنكوس الأولويات: خيارُ العقول للماديات والتقنيات، ومتوسطها للإنسانيات، وأردؤها للشرعيات.

ولصالح من يركّز في التلفاز، وهو أهم وسائل الإعلام، على الملهيات بدل المنهضات، وعلى المفسّخات بدل المرّكبات، وعلى ما يجدد ويرسخ الأقيبات، بدل ما يجتث ويمحو الأميات.

وقبل ذلك وبعد ذلك، لصالح من تُنتج هذه الأطر الباحثة، ولصالح من تُنتج؟؛ لماذا تهاجر الأدمغة أو تهجر؟ لماذا يختفي أنبغها في ظروف غامضة أو يُقبر؟ لماذا تُشغل بمواضيع بعينها؟ أو تُحصّر وتحاصر في مجالات وتخصصات بعينها، هي في حساب الذات ليست بحال في مصلحة الذات؟ لماذا تشغل بالإجابة عن أسئلة ليست من وضع الذات، ولا تعني حاضر الذات، ولا مستقبل الذات؟ لماذا ولماذا ولماذا؟؟؟...

إن وقفة ضرورية للتأمل يجب أن تقع، وإن مراجعة تامة كاملة للسير العلمي يجب أن تتخذ، بدءاً من التعليم، فالإعلام، فالبحث العلمي، مباني ومعاني، أهدافا ووسائل، مواد وأطرا...، حتى لا نستمر في الحطب في حبل الغير، وحتى نستجيب لحاجة الذات ومصلحة الذات، بدل الانخراط في مشروع الغير.

### 3- انعدام الذاتية تجديدا وابتكارا؛

وذلك بعد الذي تقدم طبيعي أو كالتطبيعي، إذ كيف يتصور تجديد أو ابتكار علمي متميز في أمة، مع الإهمال شبه التام للمسألة العلمية فيها؟ وكيف يتصور ظهور ذاتية علمية لأمة، وهي قد سخرت ما تملك من طاقات، من حيث تشعر أو لا تشعر، في خدمة مشروع الآخر؟.

إن التجديد في العلوم الشرعية لابد أن يسبق بتمهيد وتوجيه وإعداد للناشئة إعدادا يكافئ الهدف، في مختلف المراحل والمراكز والمؤسسات العلمية والإعلامية؛ ذلك بأن التجديد روح تنفخ، وأن التجديد أدوات تكتسب، وأن التجديد جهود تستوعب، وأن التجديد قدرات وطاقات توهب، وأن التجديد حاجة تدفع، ووسط لا يمنع، وأن التجديد إمامات ترسل، وجمهور يستقبل فيحوّل، وأن التجديد وأن التجديد....

فينبغي جمع شروط التجديد ليحصل التجديد، ومنها رفع المستوى العام ليرتفع بارتفاعه المستوى الخاص، وإلا صارت المحاولات صيحات في واد؛ فلا بد إذن من التمهيد بالثقيف اللازم علما وخلقا، ولابد من التوجيه باعتماد السلم الذاتي اللازم لسد الحاجات، والمُرَاعِي للميول والمواهب والقدرات، ولابد بعد ذلك من الإعداد اللازم لصنع الإمامات القادرة على إحداث فعل التجديد في العلوم الشرعية في مختلف التخصصات.

ومثل ما قيل عن التجديد في العلوم الشرعية، يمكن أن يقال عن الابتكار في العلوم المادية والإنسانية، تمهيدا وتوجيها وإعدادا، روحا ووسطا وشروطا، وإلا ظلت الذاتية منعدمة أو كالمنعدمة، حتى حين يبادر ناس أو يُبْرَز آخرون في الارتياح، لعجزهم، بغير ما تقدم، أن يصيروا ظاهرة تبشر بميلاد. ويلحق بهذه الملحوظات الثلاث اثنتان:

- اضطراب الرؤية

- واضطراب المنهج

فالناظرون في أمر العلم ومستقبله في هذه الأمة مختلفون:

منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة

منهم من يريد العلم بمفهومه الغربي، الذي على أساسه سميت الكليات التي تدرس علومها بعينها "كليات العلوم"، والشعب التي تدرس في

الثانويات علوما بعينها "الشعب العلمية".  
ومنهم من يريد العلم بمفهومه الموروث، الذي على أساسه سمي خريج  
"القرويين" وخريج "الزيتونة" وخريج "الأزهر" "علما".  
ومنهم - وقليل ما هم- من يريد العلم بمفهومه القرآني الكلي الذي  
يجد فيه هذان الصنفان وسواهما مكانهما، في انسجام تام بين هيمنة علم  
الغيب وثباته وكليته، وجزئية علم الشهادة وتجده ودورانه في فلك سابقه.  
وعلى أساس تلك المفاهيم يكون تصنيف العلوم، ويكون إحصاء  
المستقبل العلمي، وتكون الرؤية لمحطة الوصول ومنهاج الوصول.  
وبما أن الواقع -موقع الرصد- في اضطراب شديد، فإن رؤية هؤلاء  
جميعا للأفق والطرق الموصلة إليه، فيما اضطراب شديد.  
وعند أمثال المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الائيسكو)،  
والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الائيسيسكو)، والمعهد العالمي  
للفكر الإسلامي، وبعض المؤسسات المعنية بالعلم ومستقبله في الأمة... الخبر  
اليقين.